University of Thi-Qar Journal of Humanties Science
Website: jedh.utq.edu.iq Email: utjedh@utq.edu.iq

دلالة الصوتيّة لحرف الضاد في العربيّة
(آيات التنزيل إنموذجاً)

The indication of the DAAD in the Arabic character
(verses download model)

م.د . فاطمة عبدالزهرة عبدالجليل، البصرة
m. D. Fatima Abdul Zahra Abdul Jalil– Al Basra
Fatimaabd925@gmail.com

Abstract

it was to contain a single Arabic Letter Arabic our language impact in individual mode through its significance, and impact on the sentence and the entire composition, being the voice of the moral strength is revealed as a powerful voice for the anmas from dishes and superimposition and magnification. And many vocabulary has been overwhelming contain this character as well as the vocabulary of the download, if download Aziz Constitution must in this case choose from characters in the vocabulary impact crucify the bonds of power when the routing distances and effective provisions and ethical principles thatThe DAAD in the vocabulary of character demonstrated

the power and intensity, and was so effective in its position, and semantic domain through the annexed letters applied voice that I did do at moments. The Arabic character in some of the vocabulary connotation of weakness to the anmas from looseness, as veterans and this confirms the reality of the ancients that voice applied mestal stressed flaccid, not like the modern that sound great.

الكلمات المفتاحية : الدلالة ، صوت الضاد

ملخص البحث:

لقد كان لاحتواء المفردة العربية حرف الضاد في لغتنا أثر بين في وضع المفردة من خلال الدلالة فيها , وما تشكله من أثر على الجملة والتركيب بأكمله ؛ لأنه صوتٌ كشف عن قوته المعنوية بوصفه صوتاً قوياً لما انماز به من إطباق واستعلاء وتفخيم .وقد كانت المفردات من الكثرة الكاثرة في احتواءها على هذا الحرف فضلاً عن مفردات التنزيل ، إذا التنزيل العزيز دستور لابد له والحالة هذه أن يختار من الحروف أصلبها أثراً في مفردات تجتمع فيها أواصر القوة عند مسافات التوجيه وفاعلية الأحكام والمبادئ الأخلاقية, ولذا جاء حرف الضاد في مفردات دلت على القوة والشّدة , وكان ذا فاعلية في موضعه , وفي المجال الدلالي من خلال الصوت الذي ضمته الحروف المطبقة التي فعلت فعلها في مفرداتها. وكان لحرف الضاد فاعلية في دلالة بعض المفردات على الضعف لما انماز به من رخاوة , كما وصفه القدماء وهذا يؤكد حقيقة ما ذهب إليه القدماء من أنَه صوت مطبق مستعل مفخم رخو, وليس مثلما ذهب إليه المحدثون من أنّه صوت شديد.

مقدمة:

تعدُّ الضاد من أكثر الحروف العربيّة تعقيداً؛ لصعوبة النطق بها و لأجل هذه الخصيصة استأثرت بالدرس والبحث من لدن علماء العربية, وأهل القراءات قديماً وحديثاً .فقامت عليها المباحث الصوتية, لتحديد صفتها وتعين أحيازتها.فحصل للباحثين من جهد هؤلاء الأجلة موروث لغويّ تعتز به العربية, وهو زاد طيب لعلماء الأصوات من المعاصرين.

وكان الإحساس بمشكلة صوت الضاد من جانب اللغويين العرب عقب انتشار الدين الإسلامي ودخول غير الأمم العربية في الدين الحنيف وحاجة هذه الأمم الى أداء الصلوات وقراءة القرآن وتعلم نطق العربية التي كانت تحتوي على عدد من الوحدات الصوتيّة التي لا توجد في اللغة الأم للمسلمين الجدد , كاللغة الفارسية والعبريّة , والسريانية والرومية والقبطية وغيرها , وقد قام علماء اللغة ومن بعدهم علماء القراءات برصد التغيرات الصوتيّة واللثغة أو الخطأ في نطق أصوات العربية ما يعرض مستخدميها من المسلمين للحن في القرآن , وما يترتب على ذلك من تغير في معاني كلمات التنزيل , وقد كانت مشكلة صعوبة نطق الضاد على غير العرب، وعلى العرب ممن لم يتعود ويتمرس النطق بها .لذا رأت الباحثة دراسة هذا الصوت وبيان مخرجه وصفاته عند العلماء العربية وعند المحدثين, متخذة من الدلالة الصوتية, لصوت الضاد في لغة العرب والقران الكريم دليلاً على صحة ما ذهب إليه القدماء في تحديد مخرجه وصفاته من خلال المعاني التي دلّت عليها المفردات التي اشتملت على هذا الصوت ، وتوضيح تأثيره مع الحروف الأخرى في تلك الدلالات. فلا ضير أن نعرج أولا على صوت الضاد في اللغات الساميّة , ثم عند القدماء و المحدثين وبيان مخرجه وصفاته قديماً وحديثاً , وكان لآيات التنزيل (القرآن) إنموذج المركب الأسلم للبحث والموقوف على دلالة صوت الضاد موضوع البحث في المفردة العربيّة من خلال إحصاء المفردة التي أولها,أو وسطها, أو آخرها ضاد , ليكون الحكم الدلالي واضح

المضمون .فكانت المفردات كثيرة ؛لأن حرف الضاد الأكثر استعمالا فكانت المفردات التي آخرها الحرف تمثل الكثرة الكاثرة موازنة بالمفردات عامة . وكان أقلها ما كان وسطها ضاد .لذا اقتصرت على بعض النماذج لكثرة الألفاظ الواردة في المعجمات والقران الكريم.

فعسى الله أن يوفقنا لخدمة كتابه العزيز , فإن كنت أخطأت فمن نفسي , وإن كنت أصبت فمن الله , والله من وراء القصد .

صوت الضاد في اللغات الجزريّة:

- حين نبحث في

جذور صوت الضاد, نرى أنّه كان موجوداً في اللغة الجذرية الأم, والدليل على ذلك انَه ظل موجوداً في اللغتين العربيّة والعربيّة الشمالية[1].وقد كان هذا الصوت موجوداً في اللغة الأثيوبية القديمة (الجعزيَة), إلا أنَه فُقد رمزاً ونطقاً في اللغة الأثيوبية الحديثة(الأمهريّة)[2].

أمَا في اللغات الجزريّة فقد تعرضت الضاد للتغير الصوتي , فهو في الأكديّة والأوغاريتية والعبريّة صاداً[3]. ويمكن إرجاع ذلك التغير إلى صعوبة النطق بالضاد القديمة , وقرب مخرجها من الصاد ,وتشابهما في عدة صفات كالإطباق والاستعلاء والتفخيم ,وسهولة نطق الصاد إذا ما قيست بنطق الضاد .ويتضح هذا التحول في الأمثلة الآتية : فلفظة (مرض) بالعربية, يقابلها في الآكديّة (مرصو),وفي الأوغاريتية (مرص).ولفظة (ضلع) في العربيّة , يقابلها (صلع) في العبريّة[4].أما في الآرامية فتحول الضاد الى صوت أخر .إذ تدلّ النقوش على أنَه صار قافاً في الآرامية القديمة ,ثم تحول إلى عين في الآراميّة الحديثة[5] .

فكلمة (أرض)في العربية, تنطق في الآرامية القديمة (أرقا) وفي الآرامية الحديثة (أرغا)[6].

ولو أردنا تفسير هذا التحول , نجد أن مخرج صوت الضاد بعيداً عن مخرج القاف والعين, فمخرج الضاد الجزريّة كما افترض دارسو اللغات الجزريّة بين الأسنان[7].أي

أنَها (بين اسنانيه) وهو صوت مجهور[8] .وصوت القاف صوت مهموس يتكون عند الطبق ,أي انّه صوت طبقي[9]. أما العين فهو صوت مجهور يتكون عند الحلق[10] أي أنَه (صوت حلقي),فالمخارج متباعدة . أما لو أخذنا الصفات , فأننا نجد الضاد والقاف يشتركان بصفة واحدة, وهي صفة التفخيم, وصفة المشتركة بين الضاد والعين الجزريتين هي صفة الجهر,ووجود صفة مشتركة بين الضاد والقاف ، وبين الضاد والعين , ليس سبباً كافياً لتفسير هذا التحول.

ولا يمكن إرجاع ذلك إلى نظرية السهولة في نطق الأصوات ؛ لأن ذلك يستلزم صوت أسهل من الضاد نطقا ,واقرب إليها مخرجاً , أما القاف والعين , فان نطقهما صعب يحتاج الى جهد عضلي , ونجد أن أغلب الأعاجم في عصرنا هذا لا يستطيعون نطق هذين الصوتين[11].

مخرج صوت الضاد عند علماء العربيّة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: ((الجيم والشين والضاد في حيز واحد))[12] , وسماها شجريّة, لأن مبدأها من شجر الفم,وهو مفرجه.

وهي عند سيبويه: ((من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد)[13]

وقد ذكر سيبويه الضاد قبل الجيم حين رتب الحروف:(.....ك ض ج ش ي.....)[14]

لكنه أخرها عن حروف وسط اللسان(ج ش ي),حيث تحدث عن المخارج.وذكر المبرد أن الضاد :(مخرجها من الشدق– زاوية الفم من باطن الخدين)[15], فبعض الناس تجري له في الأيمن وبعضهم تجري له في الأيسر[16].

والضاد عند ابن جني:(من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد إلا أنَك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر)[17].

وقد صحح ابن جني ترتيب سيبويه للحروف فجعل الضاد بعد الياء لينسجم ذلك مع ترتيب المخارج[18] .

فلم يوافق الخليل في رأيه أحد من علماء العربية والتجويد؛لاختلاف المخرجين,فالجيم والشين من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى,أما الضاد فهي من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس[19] .

فالضاد كما وصفها علماء العربية, كانت تتكون بمرور الهواء بالحنجرة فيحرك هذا الحرف الوترتين الصوتيين,ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم,غير أن مجراه في الفم جانبي –عن يسار الفم عند أكثر الرواة أو عن يمينه عند بعضهم , أو من كلا الجانبين, كما يستفاد من كلام سيبويه[20].

ويصفها بالجهر والرخاوة والإطباق.

ويستفاد من اختلافهم في مكان نطقها أن نقطة إنتاجها لم تكن واحدة عند النطق بها.

1- فالفريق الأول ينطق بها من شجر الفم

2 –والفريق الثاني ينطق بها من الجانب الأيسر و يمثل هذا أكثر الناطقين.

3–والفريق الثالث ينتجها من الجانب الأيمن.

4– والفريق الرابع يخرجها من الجانبين.

مما يدل على أن اختلاف القدامى يعود إلى اختلاف اللهجات. والقدامى من علماء العربية كانوا يعتمدون في تحديد مكان النطق للصوت ووصفه على الملاحظة الذاتية, وهي لا تختلف كثيراً عما يراه المحدثون من علماء الأصوات على الرغم من أنّه لم تكن لديهم معامل وأجهزة,كما هي الحال الآن

تفسير المحدثين لاختلاف القدامى في مخرج الضاد:

قد ارجع الدكتور كمال بشر ذلك الاختلاف إلى أحد الاحتمالين:[21].

الأول:أن يكون لغويو العرب قد أخفقوا في تحديد الموضع الدقيق لنطق الضاد. ورأى أن هذا الاحتمال بعيدا ؛ لأن الشواهد الكثيرة التي وردت عنهم تناقضه.

الثاني : أن سيبويه علام يبدو وغيره من علماء العربية والقراءة كانوا يتكلمون عن ضاد غير تلك الضاد التي يعرفها ويمارسها أهل مصر اليوم. ويعزز وجهته التي ارتضاها بالنص المشهور الذي ساقه سيبويه متضمنا الإشارة إلى موضع نطق هذا الصوت .

وهو:((لولا الإطباق لصارت الطاء دالا, والصاد سينا, والظاء ذالا, ولخرجت الضاد من الكلام ,لأنّه ليس من موضعها شيء غيرها))[22].إذ أنَه نسب الضاد إلى موضع لا يشترك معها فيه غيرها. على حين أن الضاد الحالية تخرج من النقطة التي تخرج منها التاء والدال والطاء.[23]

واستدل د. إبراهيم أنيس من وصف القدماء لصوت الضاد. أنها تخالف تلك التي ننطق بها الآن, فالضاد القديمة كانت عصية النطق على أهالي الأقطار العربية التي فتحها العرب , أو حتى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة[24].

وقد تخيل د. إبراهيم أنيس أن نطق الضاد القديمة بأن المرء يبدأ بالضاد الحديثة ثم ينتهي نطقه بالظاء, فهي عنده مرحلة وسطى فيها شيء من شدة الضاد الحديثة وشيء من رخاوة الظاء العربية ,لذلك كان يعدها القدماء من الأصوات الرخوة[25].

وهذا الصوت, قال عنه برجستراسر في كتابة التطور النحويّ ما نصه :((فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود على حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية, ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب))[26].

ويقول اليازجي عن هذا الضاد:((وأما لفظ الضاد فإنا لم نسمع من يحكمه لهذا العهد على ما رسمه علماء العربية من مخرجه,والظاهر أنّه لكثرة اختلاط العرب بغيرها مع فُقد هذا الحرف من لغات الأعاجم ضاع موضعه من الألسنة ولم يبق لفظه))[27].

وتميل د. سلوى ناظم إلى:((القول بان الضاد بوضعهم (وصف القدماء),لم تكن وحدة صوتيّة

في بداية الأمر. وإنما كانت أمثلتها تنوعات نطقية ،ونستخلص من ذلكphonemeمستقلة

, بأن الضاد التي حددها علماء العربية وعلماء التجويد,صوت لم يعد يسمع من الناطقين بالعربية اليوم , بل صارت على ألسنة بعضهم دالا مفخمة كما في مصر , وصارت على ألسنة آخرين صوتاً لا يختلف عن الظاء في شيء كما في العراق))[28].

وربما يعود ذلك إلى أن صوت الضاد صعب الأداء ومن ثم أخذت الألسنة تنحرف في نطقه إلى أصوات أخرى, حتى وجدنا عبد الوهاب القرطبي يصرح في القرن الخامس, أن أكثر القراء ينطقونها ظاء[29] .

فضلا عما تقدم , فان صوت الضاد لم يتحول الى صوت واحد, بل نجد أن الناس نطقوا الضاد على أشكال مختلفة تتلخص في الأصوات الآتية[30].

ا– الظاء. ب– اللام المفخمة. ج–الطاء(=الدال المفخمة في النطق المعاصر).

د–مزجها بالذال. هـ– اشمامها الزاي.

صفات صوت الضاد:

أولاً: الجهر

المجهور عند سيبويه:((حرف أُشبع الاعتماد في موضعه,ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه,ويجري الصوت))[31].

تلك هي فكرة سيبويه عن الصوت المجهور. وقد رددها من بعده علماء العربية وعلماء التجويد, لذا يمكن القول بأن سيبويه قد تمكن من تصنيف الأصوات إلى مجهورة ومهموسة استناداً إلى إدراكه الفرق بين طبيعة القسمين الناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين,التي سماها سيبويه صوت الصدر, أثناء نطق الأصوات المهموسة,وكان هذا التقسيم في جملته صحيحاً[32].

والمجهور عن المحدثين:((هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان))[33] .

ويكاد يتفق المحدثون والقدامى في عدّ الأصوات المجهورة,وهذا يدل على أن القدامى كانوا يحسون بمكان الاعتماد وهو الحنجرة. وهو لا يكون إلا عند اقتراب الوترين الصوتيين، فإذا انقضى زمن الاحتكاك بهما جرى الصوت .

ثانيا : الرخاوة:

من الجوانب الأساسية في إنتاج الأصوات اللغوية تحديد درجة انفتاح مخرج الصوت أثناء مرور الهواء به, لأن ذلك من العوامل المؤثرة في تنوع الأصوات واختلاف جروسها.فالرخو عند القدماء :((هو الذي يجري فيه الصوت))[34].

أما الصوت الرخو عند المحدثين,وهو ما يسمى بالاحتكاكي وهو الصوت الذي ((عند النطق به لا ينحبس الهواء انحباساً محكماً,وإنما يضيق المجرى,وأن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة المجرى))[35] .فالضاد القديمة رخوة كما وصفها سيبويه , إلا أنَها عند المحدثين من الأصوات الشديدة.ويستفاد مما تقدم أن القدماء والمحدثين قد اتفقوا على تعريف الصوت الرخو إلا أنَهم اختلفوا في صوت الضاد.

فالضاد صوت جرى معه اللسان والصوت في وقت واحد, فأما جريان اللسان هذا ما يسميه العلماء الاستطالة في المخرج ,وأما جريان الصوت هذا يسميه العلماء بالرخاوة.

ثالثا : الشدة:

ويسميها كثير من المحدثين الانفجارية (PLOSIVES) أو الوقفات (STOPS).

الصوت الشديد عند سيبويه:((الذي يمنع الصوت أن يجري فيه,وهو الهمزة, والقاف,والكاف,والجيم,والطاء,والتاء,والدال,والباء, وذلك انك لو قلت (الحج) ثم مددت صوتك لم يجرِ فيه))[36].أمّا الشديد عند المحدثين (الانفجاري): ((هو الذي ينحبس مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن في مخرجه , وذلك بالتقاء عضوين من أعضاء آلة النطق , ثم ينفصل العضوان, فيندفع الهواء المحبوس فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً, مثل الباء, والتاء, والدال وغيرها))[37].ويستفاد مما تقدم أن مفهوم سيبويه للشديد يتطابق مع مفهوم المحدثين, ويدل على ذلك قوله وهو يتحدث عن الطاء , والدال :((لأنها حصرت الصوت من موضعها , كما حصرته الدال))[38] .

وأن الأصوات التي عدّها سيبويه شديدة, هي تلك التي يسميها الدرس الصوتي الحديث (الوقفات) أو (الانفجارية), إلا أنَه عدّ الضاد (رخوة), على حين عدّها المعاصرون انفجارية, لانطباق صفات الانفجارية على الضاد الحديثة دون أدنى خلاف.وهذا ما ذهب إليه المقدسي بالقول :((إنهم ذكروا أنّ من صفاتها الرخاوة,

وهذا شديد الدلالة عند من ليس عنده غباوة . فانه لا رخاوة فيها إلا إذا كانت شبيهه بالظاء. أما الضاد الطائية فمشوبة بالدال أو الطاء المهملة, وكل منهما حرف شديد))[39].

رابعا: الإطباق:

الإطباق عند سيبويه :((أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له في أثناء النطق))[40] فالضاد القديمة صوتاً مطبقاً وهذا يؤيده قول سيبويه وهو يتحدث عن حروف الإطباق الأربعة:((ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا,والظاء ذالا, ولخرجت الضاد من الكلام ,لأنَه ليس شيء من موضعها غيرها))[41]فالنص السابق لسيبويه يبين أن الطاء العربية هي النظير المطبق للدال , وأنه إذا أزيل الإطباق عنها صارت دالا, وهذا الوصف ينطبق على الضاد التي ينطقها الناس في مصر, وهذا يعني تحولا أصاب الطاء والضاد معاً:((لانّ الطاء اليوم إذا أزيل عنها الإطباق صارت تاء لأنها مهموسة, وليس بينها وبين التاء سوى الإطباق, وكانت الضاد العربية إذا أزيل إطباقها تختل ولا تتحول إلى صوت أخر من الأصوات العربية – بينما هي اليوم – في نطق مصر خاصة , لا من نطق أهل العراق– إذا أزيل عنها الإطباق صارت دالا))[42] .فالضاد الحديثة ((عند النطق بها ينطبق اللسان على الحنك الأعلى متخذاً شكلاً مقعراً, كما يرجع إلى الوراء قليلا))[43] واستنتج د. إبراهيم أنيس من قول سيبويه: ((ولخرجت الضاد من الكلام انه قصد ضادا غير التي تنطق بها الآن, لأن التي ننطق بها الآن إذا جردت من الإطباق أصبحت دالا))[44].ويستفاد مما تقدم بان الضاد القديمة مطبقة , وإذا جردت من إطباقها خرجت من الكلام, أما الضاد الحديثة مطبقة أيضا ,وإذا جُردت من إطباقها أصبحت دالا.وهو ما ذهب إليه أحد الدارسين حين قال عن النطق المعاصر للضاد :((لولا الإطباق لصارت الطاء تاء ,والضاد دالا....الخ))[45].

خامسا : الاستطالة:

تنفرد الضاد بهذه الصفة, ووصفت بذلك, لأنها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام, وذلك لما فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء.

وذكر سيبويه أن: ((الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام))[46].

وذلك لأن اللام تشارك الضاد في المخرج ,فالضاد من أقصى الحافة ,واللام من أدنها.والضاد حرف مستطيل استطال مخرجه وأمتد صوته حتى اتصل بمخرج اللام,وشابه لفظه لفظ اللام المفخمة ,وربما أخرجه بعض الناس لاما مفخمة, لان اللام تشارك الضاد في مخرجه لا في أوصافه,إذا ليس فيها شيء في صفات الضاد المذكورة , إلا أنَها بين الرخوة والشديدة,فتوافقه بشيء من الرخاوة[47].فالضاد القديمة حرف جرى معه اللسان والصوت في وقت واحد, فأما جريان اللسان هذا يسميه العلماء الاستطالة في المخرج وأما جريان الصوت هذا يسميه العلماء الرخاوة.

ولما كانت الضاد القديمة الموصوفة بالاستطالة غير متحققة في النطق اليوم, وأن تصور تلك الصفة في الضاد لا يصل إلى الوضوح التام, فربما كان المقصود بالاستطالة , هو أتساع مخرج الحرف , أي ما يأخذه الحرف المستطيل من مساحة اللسان أكبر مما يأخذه الحرف غير المستطيل [48].وقد صرح بعض علماء التجويد أن الاستطالة لا يوصف بها إلا الضاد , إلا أن بعض المتأخرين من علماء التجويد , قالوا بأن الاستطالة لا تختص بالضاد , بل بالشين أيضاً؛لتفشيها[49].

سادسا:الاستعلاء

هو: ((ارتفاع اللّسان إلى الحنك الأعلى عند اللفظ))50ويشارك الضاد بهذه الصفة حروف الإطباق الأخرى (الصاد والطاء والضاد).وحروف الإطباق مستعلية ومطبقة أيضا, وهناك حروف مستعلية إلا أنَها غير مطبقة هي :الغين والخاء والقاف51.

فهناك فرق بين صفة الإطباق وصفة الاستعلاء؛ لأنّ صفة الإطباق من الصفات المميزة , وصفة الاستعلاء من الصفات المحسنة:((فعلى الرغم من التشابه والعلاقة بينهما إلى جانب تخصيص مصطلح للصفات المقابلة لهما ,فان صفة الإطباق تميز بين الطاء والضاد والصاد وبين مشاركاتها في مخرج التاء والذال والسين, وكذلك الأمر بالنسبة للضاد التي تنطق في مصر اليوم ميزت صفة الإطباق بينها وبين الدال,

بينما لا تقوم صفة الاستعلاء بأي دور تميزي,إنما تشير إلى حالة اللسان في أثناءالنطق بهذه الأصوات)) 52

سابعاً:التفخيم:

((هو تسمين الحرف وضدّه :الترقيق لنحافته))53.فحروف الاستعلاء ملازمة للتفخيم , فهناك تداخل بين حروف الإطباق وحروف الاستعلاء,لوجود صفة مشتركة تجمع بينهما,ترتبت على الوضع الذي يتخذه اللسان في أثناء النطق بهذه المجموعة من الأصوات وهي صفة التفخيم.54.والتفخيم ملازم للاستعلاء,فمن كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ,لذا فان حروف الإطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء55. فحرف الضاد أبلغ تفخيماً من باقي حروف الاستعلاء؛ لأنّه حرف مطبق.

ثامنا: الأصالة:

ونقصد بالأصالة كون الحرف جزءاً لكلمة, ويقابل ب(فعل)56. فحرف الضاد حرف أصيل ولا يكون زائداً.

تاسعا:التفشي:

((معنى التفشي هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك ,وانبساطه في الخروج عند النطق بها))57.فقد استخدم سيبويه كلمة التفشي في وصف الشين58.وفعل المبرد ذلك ,إلا أنّه وصف الضاد بالتفشي أيضاً[59] .

وذهب د. كمال بشر إلى أن وصفها بالتفشي(الضاد) يعني أنها رخوة, أي احتكاكية, إذ التفشي إنما يظهر مع هذه الأصوات, وأنموذجها الأشهر الشين[60].ويستفاد مما تقدم أن الضاد اللسانية توصف بالتفشي وتفشيها في استطالتها في مخرجها وتسمى الاستطالة تفشياً.وعلام يبدو أن الضاد القديمة تجمع بين ظاهرتين: الأولى :خروج هوائها من جانبي الفم كاللام, والثانية: الاحتكاك وإذا أردنا تطبيق هاتين الظاهرتين مضمومتين الى نقطة النطق نحس صعوبة بالغة في نطق الضاد, لذا قلما نجد من يستطيع أن يأتي بالنطق المثالي الذي قدمه لها العرب من خواص وسمات[61].

لأن علماء العربية وصفوها بالتفشي ,ولا تفشي فيها إلا إذا كانت شبيه بالظاء, أمّا الضاد الحديثة(الطائية)فلا تفشي فيها,وصفوها بالاستطالة, ولا يوجد في الضاد الطائية صفة الاستطالة.ومن خلال ما تقدم يتضح أن صوت الضاد يشكل قصة عصياً استيعاب حقيقتها, وأن صوت الضاد عند علماء العربية يعد صوتاً غريباً عما ننطق به الآن.حتى حار النّاس بين القديم والحديث في تعرّفه وفي إدراك خواصه المميزة له,وصفا وأداء نطقيا[62]. فهي كما قال ابن الجزري في كتابه (التمهيد في علم التجويد):

((أعلم إن هذا الحرف يعسر على اللسان غيره[63], والناس يتفاضلون فيه , فمنهم من يجعله ظاء مطلقاً , وهم أهل الشام وبعض أهل المشرق))..... ((ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها, بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة ,لا يقدرون على غير ذلك, وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب, ومنهم من يخرجها لاما مفخمة وهم الزيالع ,ومن ضاهاهم .وأعلم أن هذا الحرف خاصة إذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه بطبعه لا يقدر بكلفة ولا بتعليم))[64].والمسرد التالي لحرف الضاد من خلال موقعه ,يبين دلالته في معنى المفردة على وفق ما وصفها لقدماء من كونه حرف قوي ؛لأن صفاته كلها تدلّ على القوة, إلا صفة الرخاوة. وعلى وفق الآتي :

قالت العرب:(ضبّ): أضب القوم أضبابا إذا تكلموا, ضبّة: الحديد أضبّ على غلٍّ في صدره , إذا جمعه في صدره, ومنه الضباب, وهو الذي كانّه غبار يجتمع فيستر , ويوم مضبّ, وضب

البلد: كثر.ضبابه[65].

(ضباضبٌ) :(بالضم : بمعنى غليظ سمين قصير فحّاش جريّ، والضباضب: الرجل الجلد الشديد, وربما استعمل في البعير)[66].

وكان لصوت الضاد اثر بالغ في الدلالات السابقة لما في تفخيم وإطباق بما يوائم حبس الغل في الصدر, ودلالة المفردة على القوة.

(ضبط):(بمعنى لزوم الشيء وحبسه,ضبط عليه وضبطه يضبط ضبطاً وضباطة, قال الليث: الضبط , لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء ,وضبط الشيء حفظه بالحزم)[67].
والأضبط:(الذي يعمل بيديه جميعا)[68].فقد كانت دلالة صوت الضاد واضحة الأثر في معاني المفردة في دلالتها على اللزوم والحبس بما يلاءم حبس هواء الصوت خلف حافتي اللسان تحت الضغط المستمر لهواء الصوت.

ضجع):(

قال المازني:إنّ بعض العرب يكره الجمع بين حرفين مطبقين فيقول[69] :الطجع ويبدل الضاد اقرب الحروف إليها وهو اللام,وهو نادر.قال تعالى :((تَتَجَافى جُنُوبهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ))[70]الاضطجاع في السجود ,وفي السجود: أن يتضام ويُلصق صدره بالأرض, وإذا قالوا صلى مضجعا أن يضطجع على شقه الأيمن مستقبلاً للقبلة [71]
ومنها قولهم : رجل ضجوع ,أي ضعيف الرأي,ورجل ضجعه عاجز لايكاد يبرح.والضّجوع: الناقة التي ترعى ناحية, أكمة ضجوع إذا كانت لاصقة بالأرض, والضجوع: أكمة بعينها ,والضواجع :موضع[72].فقد كان لصوت الضاد وتكلف إخراجه من الجانب الأيمن عند نطق به عند بعض العلماء أثر بالغ في دلالة المفردة.(ضجم):الضّجم: العوج:الليث:الضّجم عوج في الأنف يميل الى أحد شقيه,وقد يكون الضّجم عوجاً في البئر والمتضاجم : المعوج الفم ،والضّجم : عوج في الفم وميل في الشدق،وقد يكون عوجا في الشفة والذقن والعنق إلى أحد شقيه.وتضاجم الأمر بالقوم ,إذا اختلف[73]
الضجم أيضاً : اعوجاج أحد المنكبين[74].فكان تكلف إخراج الضاد من أحدى حافتي اللسان له أثر واضح في الدلالة المفردة على العوج.(ضحا): الضحو والضّحوة والضّحية على مثال العشيّة:ارتفاع الشمس, والضحاء ممدود, إذا أمتّد النهار وتقرب أن ينتصف.والضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار.الضحى : حين تطلعالشمس فيصفو ضوؤها.

والمضحاه : الأرض البارزة التي لا تكاد الشمس تغيب عنها, وضحا الطريق : بدا وظهر. وضاحية كل شيء ما برز منه .[75]

فكان لما انمار به صوت الضاد من استطالة واضح الأثر في معنى المفردة.

(حضا):حضأ : حضأت النار حضاً ،التهبت ، وحضأها يحضؤها حضأً،فتحها لتلتهب، وقيل :أوقدها. وحضأت النار: سعرتها، يهمز ولا يهمز ،وحضا النار حضواً: حرّك الجمر,بعدما يمهد[76].

فقد كان لاستطالة صوت الضاد أثر في دلالة المفردة.

(حضب):الحضب والحُضب جميعاً:صوت القوس والجمع أحضاب : قال شمر: حضب وحبض,وهو صوت القوس .

قال الكسائي: حضبت النار اذا خبت فالقيت عليها الحطب, لتتقد والمخضب : المسعر ,وهو عود تحرك به النار عند الإيقاد[77] . فصوت الضاد دلالته بنية في معنى المفردة.

(خضع): قال الخليل :(خضع خضوعاً , وهو الذل والاستحذاء، واختضع فلان أي تذلل وتقاصر, ورجل أخضع وامرأة خضعاء وهما الراضيان بالذّل) [78] .

والخضع في الظّلمان: انثناء في أعناقها, والمُخضع من اللواحم المتطامن من رأسه إلى أسفل خرطومه .خضع الرجل وأخضع, إذا لان كلامه , الخضيعة التفات الصوت في الحرب وغيرها , والخضيعة ارتفاع الصوت في الحرب[79].

فكان لصوت الضاد وما انماز به من رخاوة أثر بيّن في بيان المعاني السابقة .

(خضد): الكسر في الرطب واليابس ما لم يُبن.

والخضد: وجع يصيب الإنسان في أعضائه لا يبلغ أن يكون كسراً.[80]

والخضاد: شجر بلا شواك, وأصل الخضد كسر الشيء اللين من غير إبانة له, وقد يكون بمعنى القطع , وفي حديث (علي عليه السلام), حرامها عند أقوام بمنزلة السّدر المخضود الذي قطع شوكه[81].

خضدته :ثنيته ،والخضد ،وهو الريان الناعم الذي يثني للينه [82].القطع والكسر يحتاج إلى القوة وحبس النفس ثم خروج صوت القطع بعد ذلك. وفي ذلك أثر واضح وبيّن لصوت الضاد في دلالة المفردة.

(فضي): يدل على انفساح في شيء واتساع من ذلك ، الفضاء[83]

المكان الواسع, ويقولون : أفضى الرجل الى امرأته : باشرها, وفاض الماء :إذا ظهر ، وساح, فاض الإناء يفيض فيضاً ,و فض الله فاه. ولايفيض فاك ،

الفضّ ومنه قوله تعالى ((وَإِذَاَ رأَوْا تِجارَةً أو لَهْواً انْفضُّوا إلَيْهَا))[84].

درع فضاضة: أي واسعة . والفضة معروفة) [85].(

فاستطالة صوت الضاد ,وهو اتساع مخرج الصوت عند النطق به أثر في دلالة المفردة على الاتساع.

(نضد): يدلّ على ضم شيء الى شيء في اتساق وجمع منتصباً او عريضاً, والنضد من الثياب والنضّد: السحاب المتراكم ،وكذلك أنضاد الجبال :جنادل بعضها فوق بعض .

النضد, السرير , انضاد القوم جماعاتهم , وعددهم , ونضد الرجل : أعمامه وأخواله الذي يتجمعون لنصرته. والنضد: الشرف . وما نضد بعضه على بعض فهو نضيد[86]

وفي التنزيل : ((والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ)) [87].

فالإطباق الذي انمار به صوت الضاد أثر واضح في المعاني السابقة .

(جرض): الجهد, جرض جرضاً : غصّ .والجرض . الجريض : غصص الموت, والجرض بالتحريك الريق[88].

قال الخليل :(الجرضُ ان يبتلع الانسانُ ريقه على همٍّ وحُزْنٍ , ويقال : مات فلان جَرِيضاً , أي مغموما . جرواض : أي غليظ , والجرائض : البعير الضخم. ويقال الشديد الأكل , ونعجةجُرِئضة : ضخمة)[89].

الجرياض والجرواض الضخم العظيم البطن.

فكان لصوت الضاد وتكلف إخراجه أثر واضح في دلالة المفردة على تكلف بلع الريق على هم وحزن . فضلا عما انماز به من قوة وتفخيم في الدلالة على المعاني السابقة .

(حبض):(حبض القلب يحبض حبضاً : ضرب ضرباناً شديداً ، وكذلك العرق يحبض ثم يسكن , خبص العرق يحبض , وهو أشد من النبض , وأصابت القوم داهية من حبض الدهر , أي ضربانه)[90] .

والحبض : التحرك , وإحباض السّهم : خلاف إصراده. ويقال: حبض اذا السهم ماوقع بالرمية وقعا غير شديد . قال الأزهري : وأما قول الليث إن الحابض الذي يقع بالرمية وقعا غير شديد فليس بصواب[91] .

فكانت لصوت الضاد وما انماز به من قوة واستعلاء وتفخيم أثر في دلالة المفردة على الشدة .

(خفض): من أسماء الله تعالى الخافض : هو الذي يخفض الجبارين والفراعنة أي يضعهم ويهينهم ,ويخفض كل شيء يريد خفضه. وامرأة خافضة الصوت وخفيضة الصوت خفيته ليّنته, وفي التنزيل العزيز : خافضة رافعة , قال الزجاج : المعنى أنها تخفض أهل المعاصي وترفع أهل الطاعة[92] .

والعرب تقول : أرض خافضة السّقيا إذا كانت سهلة السقيا وخفض الطائر جناحه : ألانه وضمه إلى جنبه ليسكن من طيرانه , والخفض : السير اللين وهو ضد الر فع[93].

فالرخاوة صوت الضاد وامتد صوت عند نقطة واضح الدلالة في المعاني السابقة.

(عضّ): هو الإمساك على الشيء بالأسنان , ويسَمى الشيء الشديد الصلب، والدَّاهي بذلك . قال أهل اللغة : زمن عضوض , أي شديد , وقوس عضوض : لازق وترها بكبدها . والعض: الداهية . قال الخليل : العض : الرجل السيئ الخلق المنكر[94] .

فإطباق صوت الضاد يوائم الإمساك على الشيء وقد بدا واضح الدلالة في المعاني السابقة .

(فيض): يدل على جريان الشيء بسهولة , ثم يقاس عليه في ذلك فاض الماء يفيض . يقال : أفاض إناءه , إذا ملأه حتى فاض . وأفاض الناس من عرفه إذا دفعوا ,وذلك كجريان السيل , قال تعالى : ((ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)) [95].

وأفاض الناس في الحديث , وإذا اندفعوا فيه , قال سبحانه :((إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ))[96].

أفاض بالقداح إذا ضرب بها. فاض الرجل: إذا مات[97] .يستفاد مما تقدم ان صوت الضاد ذو أثر بالغ في بيان معنى المفردة. والضاد من أبين الحروف دلالة على ذلك , بحيث يشعرك بالقوة لما انمار به من إطباق وتفخيم واستعلاء , وقد شارك في الدلالة على بعض المعاني التي انمارت بالضعف والإذلال لما انمار به من رخاوة واستطالة . وهذا واضح الدلالة على صحة ما ذهب إليه سيبويه والعلماء من بعده في وصف الضاد القديمة بالرخاوة والإطباق والاستعلاء والتفخيم والاستطالة . لا ما ذهب إليه المحدثون من وصفها بالشدة (الانفجار).وربما كانت دلالة الضاد في تركيب المفردة الدالة على الشدة كان يتأتى من قوة إطباقها وتفخيمها ل امن شدتها . والله أعلم.

الضاد في مفردات القرآن الكريم

يبدو أن مشكلة الضاد قديمة في العربية , فقد ذكر سيبويه الضاد الضعيفة وهي نوع من أنواع الضاد التي لم تستوف صفات الضاد العربية كاملة , وهي من الحروف غير المستحسنة في قراءة القران[98].

ويمكن للدارس أن يلاحظ اتجاهين في معالجة الضاد , يتمثل الاتجاه الأول في العناية بالألفاظ التي تنطق بالضاد والظاء , ويتمثل الثاني في معالجة مشكلة الضاد , بدراسة الخصائص النطقية له , والانحرافات التي تلحقه على ألسنة الناطقين .

ومن الجدير بالذكر بأن الضاد التي يجب أن يلفظ بها القارئ المجود للقرآن ((مفخمة مستعلية منطبقة مستطيلة , فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها . ومتى فرط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال فيكون مبدلا , ومغيراً. والضاد أصعب الحروف تكلفاً في المخرج وأشدها صعوبة على اللفظ , فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها , وأخل

بقراءته , ومن تكلف ذلك تمارى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعاً وسجية))[99].

يستفاد مما تقدم أن الضاد التي يجب قراءة القرآن بها تنماز بالإطباق والجهر والاستعلاء والرخاوة والاستطالة . وإذا جاء القارئ المجود بغير تلك الصفات أو أخل بأحدها كان مبدلا أو مغيّرا.

إنّ إعجاز القرآن الكريم لم يقف عند حد المفردة , وإنما تعداه إلى حرفها في المفردة المختارة في الآية.

فقد كان القران يخاطب كل جيل بلغته , لذا تضمن مبادئ تتوافق والمبادئ التي يكتشفها هذا الجيل أو ذاك , وهذا كله يستاقنا إلى القول بأن البلاغة أو الإعجاز القرآني يظل مفتوحا ولا يتحدد فحسب وفق المبادئ التي نكتشفها حديثا بقدر ما يعني أن ثمة مبادئ أخرى لعلها تكتشف في ضوء ما يتوقع اكتشافه في العصور المقبولة.

وفيما يأتي مسرد بمفردات التنزيل العزيز التي حوت حرف الضاد , وما تركه هذا الحرف من أثر معنوي في الكلمة كصوت مجهور مطبق مفخم مستعلي رخو ومستطيل دلالة بينة توحي به.

المفردات التي أولها صوت الضاد:

(ضبح) : قال تعالى :((وَالْعادِيَاتِ ضَبْحاً))[100]

الضبح في الخيل : الحمحمة عند العدو , وقيل شدة النفس عند الضبح. وضبحت الخيل ضبحاً وضباحاً , وقيل ضبح , وضبع بمعنى وهو أن يمدّ ضبحه في السير حتى لايجد مزيدا[101].

فقد فعل صوت الضّاد فعله في بيان الحمحمة في السير وما يتطلب ذلك من تكلف في إخراج النفس.

(ضرب): قال تعالى : ((فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا))[102].

فالضرب: عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم, قال الزجاج: أي منعناهم عن أن يسمعوا ,لأن النائم إذا سمع انتبه .وقال ابن عباس : ضربنا على آذانهم بالنوم , أي سددنا آذانهم عن نفوذ الأصوات إليها.وقال قطرب : هذا كقول العرب: ضرب الأمير على يد الرعية إذا منعهم الفساد,وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة إذا منعه من التصرف [103] .فدلالة صوت الضاد على المنع وعدم النفوذ واضحة بينة .

(ضعف): قال سبحانه :((وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ والْمَطْلُوبُ))[104].

والضعف قد يكون في النفس ، وفي البدن وفي الحال , وهو خلاف القوة, ويقال رجل ضعيف وقوم ضعفاء وضعاف [105]. فقد كان لرخاوة صوت الضاد دلالة بينة على حالة الضعف في النفس والبدن والحال.

(ضغن): قال تعالى ((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ))[106].

الضغن والضغن الحقد الشديد, وجمعه أضغان,قناة ضعيفة عوجاء , والأضغان الاشتمال بالثوب وبالسّلاح ونحوهما[107].

قال الجوهري: الضغن والضغينة: الحقد, تضاغن القوم واضطغنوا : أبطنوا على الأحقاد ,واضطغنت الصّبي أخذته تحت حضنك[108].

فقد كان لصوت الضاد أثر واضح في دلالة المفردة.

(ضلّ):قال تعالى : ((أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ,قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ))[109].

ضالين ذاهبين عن الحق .

والضلال :(العدل عن الطريق ويضادّه الهداية, والضلال : العدول عن المنهج عمدا كان أو سهوا, يسيراً كان أو كثيراً. وأضل الميت إذ دُفن) [110].

فالاستطالة التي انماز بها صوت الضاد قد وظفت في بيان معنى العدول عن الطريق والمنهج.

(ضيق):قال سبحانه:((وَلاتَكُ فِي ضَيْقٍ مّمَّا يَمْكُرُونَ))[111]

وقوله تعالى :((وَلاتُضَارُّهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ))[112].

الضيق ضد السعة, ويقال الضيق ايضاً ,والضيقة يستعمل في الفقر والبخل والغم ونحو ذلك [113]

وأضاق الرجل : ذهب ماله, وضاق إذا بَخل[114]

فدلالة صوّت الضاد على الضيق واضحة .

المفردات التي وسطها ضاد:

(خضع):قال تعالى :((فَلا تَخْضَعَنْ بالْقَوْلِ))[115]

الخضوع : الخشوع , وخضعت اللّحم أي قطعته[116] .

فلا تخضعن: أي لا تلن بالقول: فقد أمرهن الله أن يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا على وجه يظهر القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين [117].

فكان لرخاوة الضاد أثر واضح في دلالة المفردة على الخشوع وما تطلّبه الخشوع من لين.

عضد: قال تعالى ((ومَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلّينَ عَضُدًا))[118].

العضد : مابين المرفق الى الكتف , وعضدته أصبت عُضده ,عضدا :أعوانا[119].

يقال : اعتضدت بفلان إذا استعنت به وتقويته ،والأصل فيه عضد اليد,ثم يوضع موضع العون

؛لان اليد قوامها العضد[120].

فكانت لاستطالة الضاد, وأمتد الحرف معها أثر في دلالة المفردة.

(عضل):قال تعالى:((فَلاَ تَعْضُلوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ))[121].

تعضلوهن: تحبسوهن , ودجاجة معضل: قد أحتبس بيضها. العضل: التضيق والمنع, هو راجع إلى معنى الحبس ،وقال الأزهري: أصل العضل من قولهم عضلت الناقة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه والمعضلة أيضاً :التي يعسر عليها ولدها حتى يموت ،وكل مشكل عند العرب معضل .

ويقال: أعضل الأمر إذا أشتد,وداء عضال: شديد عسر البرء[122].

فدلالة صوت الضاد على الحبس والمنع واضحة ,فضلا عن دلالة على كل أمر معضل, ولاسيما أن صوت الضاد وصعوبة نطقه هو معضل بحد ذاته.

(فضا): قال تعالى:((وَقد أفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ))[123] .

فضا : المكان الواسع: الإفضاء: أن يخلو الرجل والمرأة وأن يجامعها, والإفضاء في اللغة المخالطة, وأفضى: خلا[124].فكان لاستطالة الضاد أثر في المعاني السابقة.

(قضى): قال تعالى ((وَقَضَى رَبُّكَ إِلّا تَعْبدُوا إِلّا إِيَّاهُ)) [125].

قضى, أمر والزم وأوجب, القضاء بمعنى الخلق, كقوله تعالى((فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ))[126]. والقضاء بمعنى الحكم , كقوله تعالى:((فاقض ما أنتَ قَاضٍ))[127].

والقضاء :بمعنى الفراغ , كقوله تعالى((قُضِى الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ))[128]. أي فرغ منه

والقضاء بمعنى : الإرادة,والعهد[129].

فصوت الضاد كان له أثر في دلالة الفعل على الأمر والإلزام والوجوب لما فيه من إطباق وتفخيم.

(نضج): قال تعالى:((كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرهَا))[130].

نضج اللحم نضجا ونضجا إذا أدرك شيه, وفلان نضج الرأي محكمه[131].وناقة منضجه إذا جاوزت بحملها وقت ولادتها. فدلالة صوت الضاد على إحكام الرأي والمعاني السابقة واضحة.

مفردات التنزيل التي آخرها ضاد:

أرض: قال تعالى:((أعْلَمُوا أنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا))[132]. أرض أريضة بيّنة ، الأرضة إذا كانت لينّة طيبة المقعد كريمة جيدة النبت وتأرض النبات . وتأرض الجدي إذا تناول نبت الأرض. والأرضة الدودة التي تقع في الخشب من الأرض , يقال : أرضت الخشبة مأروضة .

الأرض : الجرم المقابل للسَّماء وجمعه أرضون ولا تجيء مجموعة في القرآن , ويعبر عنها أسفل الشيء[133]. فكانت لاستطالة صوت الضاد أثر في الدلالة على أسفل الشيء, وربما للامتداد صوت الضاد ؛لرخاوته في نهاية المفردة الأثر البالغ في عدم مجيء الارض مجموعة في القرآن ففي امتداده, امتداد للأرض الدنيوية والله أعلم.

عضّ: قال سبحانه((عَضّوا عَلَيْكُمُ الأنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ))[134]. العض :عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنقاذه ومنه قول أبي طالب : يعضون غيضاً خلقنا بالأمل.

العض: (بضم العين): علف دواب أهل الأمصار مثل الكسب والنوى المرضوخ, ويقال منه : أعض القوم , إذا أكلت إبلهم العض. والعض(بالكسر): الداهي من الرجال والبليغ المكر[135]. فإطباق صوت الضاد كان بالغ الدلالة على ضغط الأسنان على الأنامل في أثناء العض.

(فيض): قال سبحانه ((تَرى أعْيُنَهُمْ تَفِيض من الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقّ))[136] . وأفاض إناءه إذا ملأه حتى أساله وأفضته، ومنه فاض صدره بالسر أي سأل ورحل. ورجل فياض سخي ومنه استعير أفاضوا في الحديث أذا خاضوا فيه [137].

قال تعالى :((لَمَسَّكُمْ فِي مَا أفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ))[138].

وحديث مستفيض : أي شائع[139] .فصوت الضاد واضح الدلالة على المعاني السابقة؛ ولذلك لامتداد الصوت معه لخاوته وامتداد الحرف معه لاستطالته.

(قرض): قال سبحانه :((وإذَا غرَبَتْ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشّمَالِ))[140].

القرض : ضرب من القطع وسمي المكان وتجاوزه قرضا كما سمي قطعا . والقرض في الآية السابقة, تجوزهم وتدعهم الى أحد الجانبين , وسمي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط رد بدله قرضا. وسمي المفاوضة في الشعر مقارضة , والقريض للشعر .مستعار استعارة النسج والحوك[141] . ولا يخفى على أحد مالي صوت الضاد من أثر بالغ في معنى المفردة . من تجوز إخراجه من أحد الجانبين عند النطق به.

(نغض): قال سبحانه :((فَسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُءوسَهُمْ))[142]

الإنغاض: تحريك الرأس نحو الغير كالمتعجب منه , ويقال نغض نغضاناً اذا حرك رأسه ونغض أسنانهفي ارتجاف , والنغض الظّليم الذي ينغض رأسه كثيراً.والنغض غضروف الكتف[143] ؛ سمي لاضطرابه .والنغوض: الناقة العظيمة السّنام , ونغض الغيم :سار[144].

فكان لصوت الضاد دلالة بينة على معاني المفردة.

(مرض): قال سبحانه :((وَلَاعَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ))[145].((وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى))[146].

المرض :الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان,الأول مرض جسمي وهو المذكور في الآيتين ,والثاني عبارة عن الرذائل , كالجهل والجبن والبخل والنفاق[147].

وغيرها من الرذائل الخلقية نحو قوله تعالى ((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً))[148]قالوا :مرض في الحاجة : قصر ولم يصح عزمه فيها[149].وشمس مريضة , اذا لم تكن مشرقة, ويكون ذلك لهبوة في وجهها[150] .

فكان لصوت الضاد لما فيه من تكلف وإطباق أثر في دلالة المفردة .

يستفاد مما تقدم أن لصوت الضاد دلالة بينة في إيضاح معاني المفردات ,وكان دلالة الصوت أقوى إذا كان في أول الكلمة وأخرها . وأن صوت الضاد صوت قوي فجميع صفاته تدل على ذلك من إطباق وتفخيم واستعلاء واصمات .....وليس فيه من الضعف سوى الرخاوة والاستطالة , لذا فقد شارك في الدلالات التي تدل على القوة كالضبط والضغط والعض .....الخ.

وفي الدلالات التي تدل على الضعف أو الرخاوة كالضعف, والخفض والخشوع.....الخ. فضلا عن ذلك فأن الضاد العربية كما وصفها سيبويه هي الضاد الصحيحة التي يجب أن يقرأ بها القارئ المجود للقرآن, وليس الضاد الطائية الحديثة التي انمازت بالشدة, وان كانت بعض معاني الكلمات التي شاركت الضاد في دلالاتها دلت على الشدة ,إلا أن تلك الشدة متأتية مما انمازت به الضاد العربية من

إطباق وتفخيم وتكلف في إخراجها وليس من شدتها كما وصفها المحدثون ،والله أعلم.

الاستنتاجات:

1.-إن صوت الضاد كان موجودا في اللغة الجزريّة الأم,والدليل على ذلك انه ظل موجودا في اللغتين العربية والعربيّة الشماليّة .

2- تعرّض صوت الضاد في اللغات الجزريّة الى تغير صوتي ؛لصعوبة النطق به , فتحول الى أصوات أخرى قريبة منه مخرجاً, أو لأنها مشتركة معه في بعض الصفات.

3- الضاد عند علماء العربية كما وصفها سيبويه, تختلف عن الضاد التي ننطقها الآن.

4- يبدو أن الخلط في نطق الضاد,كان قديما, لأنه صوت عسير على الناطق.

5- تحول صوت الضاد في نطقه الى أشكال مختلفة وهي الظاء,اللام المفخمة,والطاء(الدال المفخمة) ومنهم من مزجها بالذال,وبعضهم إشمامها الزاي.

6- اتصفت الضاد القديمة بالرخاوة والاستطالة, أمّا الضاد الحديثة فهي شديدة (انفجارية).

7- الضاد صوت لساني مجهور رخو مطبق مفخم مستطيل ،والضاد صوت جميع صفاته قوي ماعدا رخاوته , وكل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم في ما هو أنقص منه صوتا,فلو أتى القارئ بهذه الصفات على كمالها فقد نطق بالضاد التي نزل بها القرآن,وخرج وابتعد عن الضاد الضعيفة التي ذكرها سيبويه.

8- إن لصوت الضاد أثره الواضح من موقعه في الكلمة وكان أثره أكثر وضوحا عند وقوعه في أولها أو أخرها.

9- كانت دلالات المفردة التي اشتملت على صوت الضاد تدل أكثرها على القوة,وذلك لما أنماز به هذا الحرف من صفات, وبعضها دلّ على الضعف واللين وهذا راجع لما أنماز به من الرخاوة والاستطالة.

10- كانت أغلب دلالات المفردات القرآنية التي اشتملت على صوت الضاد تدل على القوة والشدة وبعضها دل على الضعف والرضوخ, وهذا واضح من صفات الضاد القديمة التي وصفها سيبويه , والتي يجب أن يتقنها القارئ المجود للقرآن.

11. إن صوت الضاد كان عصياً على النطق ومازال , وقلما نجد من ينطقه كما وصفه علماء العربية وعلماء التجويد ولا يتأتى ذلك النطق إلا من خلال الدربة وتعويد اللسان.

الهوامش:

- ينظر: علم اللغة العربية ، د. محمود فهمي حجازي. [1]

ينظر: جوانب من النظام الصوتي في اللغات السامية الصوامت ، د، محمد جبار المعبيد : 256 [2]-

ينظر: علم اللغة العربية :141والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي:69. [3]-

ينظر: جوانب من النظام الصوتي في اللغات السامية الصوامت: 257. [4]-

ينظر: م،ن. [5]-

ينظر:م،ن: 257-258. [6]-

ينظر: فقة اللغة السامية ، بروكلمان:39.[7]-

م،ن.

[8]-

م،ن [9]-

م،ن:40 [10]-

ينظر: أصوت الإطباق في اللغة العربية :سهير كاظم:38. [11]-

العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي:1 /58. [12]-

[13]- الكتاب ، سيبويه:4/433.

[14]- م،ن:4/431.

[15]- المنجد: 379.

[16]- المقتضب: 1/193.

[17]- سر صناعة الإعراب:1/52.

[18]- م،ن:1/50.

[19]- الكتاب:2/5.والمقتضب: 1/192، وسر صناعة الإعراب:1/47

[20]- الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس: 46.

[21]- علم الأصوات: د.كمال بشر:254-255.

[22]- الكتاب: 3/406.

[23]- علم الأصوات:255.

[24]- الأصوات اللغوية:46-47.

[25]- المصدر نفسه:47.

[26]- التطور النحوي للغة العربية ، براحستراسر:10،والأصوات اللغوية: 48.

[27]- الأصوات اللغوية:48.

[28]- علم الأصوات اللغوية:263-26 نقلا عن العربية لغة الضاد أم الظاء: د.سلوى ناظم(بحث)

[29]- الأصوات اللغوية:48-49.

[30]- الدراسات اللغوية عند علماء التجويد ،د.غانم قدوري الحمد:27. ينظر:

[31]- الكتاب: 4/434.

[32]- ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 133.

[33]- الأصوات اللغوية:21.

[34]- الكتاب :4/460.

[35]- الأصوات اللغوية: 23-24. .

[36]- الكتاب:2/232.

[37]- بغية المرتاد لتصحيح الضاد:126.

[38]- الكتاب:4 /436.

[39]- بغية المرتاد لتصحيح الضاد:126.

[40]- الكتاب:4/.436

[41]- م،ن.

[42]- الأصوات اللغوية:46.

[43]- م،ن:58.

[44]- دراسة آراء سيبويه الصوتية في ضوء البحث اللغوي الحديث:24.

[45]- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:268-269

[46]- الكتاب:4/457-466..

[47]- ينظر: م،ن:321.

[48]- ينظر: م،ن:320 .

[49]- سرصناعة الإعراب:1/71.

[50]- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 291.

[51]- ينظر: م،ن.

[52]- بغية المرتاد لتصحيح الضاد: 122.

[53]- م،ن: 292.

[54]- م،ن:293.

[55]- ينظر:الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة ، مكي بن أبي طالب: 97.

[56]- م،ن: 109. ينظر:

[57]- الكتاب: 4/448.

[58]- م،ن. ينظر:

[59]- ينظر:المقتضب:1/211/214.

[60]- علم الأصوات:259.

[61]- ينظر:الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:269

[62]- ينظر:.الدراسات الصوتية:269.

[63]- التمهيد في علم التجويد: 42-43.

[64]- م،ن.

[65]- لسان العرب:7/340-341.(ضبط)

[66]- معجم مقاييس اللغة: 585(ضبط).

[67]- م،ن.

[68]- لسان العرب:8/218-219.(ضجع)

[69]- ينظر: م،ن.

[70]- السجدة:32.

[71]- ينظر:معجم مقاييس اللغة: 586(ضجع).

[72]- م،ن. ينظر:

[73]- ينظر:لسان العرب:12/352(ضجم)

[74]- ينظر:معجم مقاييس اللغة :587(ضجم).

[75]- لسان العرب: 1/56(حضا). ينظر:

[76]- ينظر:م،ن: 1/320.

[77]- معجم مقاييس اللغة :301(خضع). ينظر:

[78]- م،ن.

[79]- ينظر:م،ن.

[80]- ينظر: لسان العرب:3/162(خضد).

معجم مقاييس اللغة: 303(خضد). [81]–

م،ن. [82]–

معجم مقاييس اللغة: 819(فضي). [83]–

الجمعة:11. [84]–

لسان العرب:3/423–424.(نضد) [85]–

ينظر:م،ن. [86]–

سورة ق،10. [87]–

لسان العرب7/129–130(جرض) [88]–

معجم مقاييس اللغة :193(جرض). [89]–

لسان العرب:7/132(حبض) [90]–

ينظر: م،ن. [91]–

ينظر : لسان العرب:7/145(خفض) [92]–

م،ن. [93]–

ينظر: معجم مقاييس اللغة :639(عضّ). [94]–

البقرة: 199 [95]–

يونس :61. [96]–

ينظر: معجم مقاييس اللغة :803(فيض). [97]–

ينظر: الكتاب :4/432. [98]–

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:267–268، والرعاية :158–159. [99]–

العاديات : 1. [100]–

مجمع البيان:ج3/مج10/234. ينظر: [101]–

الكهف: 11. [102]–

ينظر:الجامع لأحكام القران:مج5/ج10/234. [103]–

[104]- الحج :73.

[105]- ينظر:مقاييس اللغة :575(ضعف).

[106]- سورة محمد: 29.

[107]- مفردات الفاظ القرآن: 411(ضغن). ينظر:

[108]- ينظر:الجامع للأحكام القرآن: مج8/ج16/162.

[109]- المؤمنون،105-106.

[110]- مجمع البيان:مج7/ج2/212.

[111]- النحل:127.

[112] الطلاق:6.

[113]- ينظر:مفردات ألفاظ القران:415 (ضيق).

[114]- ينظر:معجم مقاييس اللغة :583(ضيق).

[115]-- سورة الأحزاب:32.

[116]- ينظر: مفردات ألفاظ القران: (ضيق)261

[117]- ينظر : الجامع لأحكام القرآن: مج7/ج14/117.

[118]- الكهف :51.

[119]- ينظر : مفردات ألفاظ القران: 467.

[120]- ينظر : الجامع لأحكام القرآن: مج5/ ج6/273.

[121]- البقرة :232.

[122]- ينظر : الجامع لأحكام القرآن: مج3/ج6/75-76.

[123]- النساء : 21.

[124]- ينظر : الجامع لأحكام القرآن: مج3/ج6/75-76.

[125]- الاسراء:23.

[126]- فصلت ،آية 12.

طه ،آية: 72. [127]–

يوسف ،41. [128]–

ينظر: الجامع لأحكام القرآن: مج 5/ ج154/10. [129]–

النساء :56. [130]–

ينظر : مفردات ألفاظ القرآن :682(نضج). [131]–

الحديد :17. [132]–

ينظر : مفردات ألفاظ القرآن:29(ارض). [133]–

ال عمران :119. [134]–

– ينظر:الجامع لأحكام القرآن :مج2/ج125/4. [135]

المائدة : 83. [136]–

ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 537(فيض). [137]–

النور:14. [138]–

ينظر : الجامع لأحكام القران:مج1/ج273/2. [139]–

الكهف: 17. [140]–

ينظر : مفردات ألفاظ القران: 553(قرض). [141]–

سورة الاسراء: 51. [142]–

ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 688(نغض). [143]–

معجم مقاييس اللغة :1000(نغض). [144]–

النور ،61. [145]–

سورة الفتح:آية :17. [146]–

ينظر: مفردات ألفاظ القران:644– 645(مرض). [147]–

سورة البقرة، آية:9. [148]–

معجم مقايسس اللغة :944(مرض). [149]–

م،ن. [150]_

References

المصادر:

*القرآن الكريم

*الأصوات اللغويّة تأليف د. إبراهيم أنيس,الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ,1999م.

*التطور النحوي للغة العربية ,للمستشرق الألماني برجشتراسر, ترجمة د. رمضان عبد التواب , مكتبة الخانجي , القاهرة , ودار الرفاعي بالرياض ,ط,1402 هـ-1982م.

*التمهيد في علم التجويد , ابن الجزري, طبع في مصر , 1326-1908.

*الجامع للأحكام القرآن ,لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, أعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري, دار احياء التراث العربي , بيروت – لبنان,1422-2002م.

*الدراسات الصوتية عند علماء التجويد,د.غانم قدوري الحمد, وزارة الأوقاف والشؤون الدينية, إحياء التراث الحديثة ,ط1, 1406هـ- 1986.

*دراسة آراء سيبويه الصوتية في ضوء البحث اللغوي الحديث مهين حاجي زاده , مجلة التراث الأدبي, س2, العدد5.

*الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة , مكي بن ابي طالب , تحقيق أحمد حسن فرحات , دمشق , دار المعارف للطباعة , 1973م.

*سر صناعة الأعراب , لأبي الفتح عثمان بن جني (ت932هـ)دراسة وتحقيق د.حسن هنداوي , دار العلم ,دمشق للطباعة والنشر والتوزيع, ج1,ط1,1405 –1985م.

*العربية لغة الضاد أم الظاء ، د. سلوى ناظم بحث لها قدمته الى مؤتمر مجمع اللغة العربية ،القاهرة ، الدورة الخامسة والستين.

*علم الأصوات , كمال بشر,دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع, 2000م.

*علم اللغة العربية(مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات الساميّة):د.محمود فهمي حجازي ,الناشر وكالة المطبوعات الكويت , ط1, 1973م.

*العين, الخليل بن أحمد الفراهيدي , تحقيق مهدي المخزومي , وإبراهيم السامرائي , سلسلة المعاجم والفهارس , وزارة الثقافة والاعلام, بغداد , 1980, 1985م.

*فقه اللغات الساميّة :بروكلمان , ترجمة د. رمضان عبدالتواب , منشورات جامعة الرياض, 1977.

*الكتاب, سيبويه, تحقيق عبد السلام هارون , القاهرة , (الهيئة المصرية),1966–1977م.

*لسان العرب (المحيط لغويّ علميّ) للعلامة ابن منظور (ت711هـ), قدم له الشيخ عبدالله العلايلي, أعداد وتصنيف , يوسف الخياط دار لسان العرب , بيروت (د.ت).

*المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ ,د.رمضان عبد التواب , مطبعة المدني , القاهرة,ط2 ,1985م.

*معجم مقاييس اللغة, لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا , دار إحياء التراث العربي , 1429هـ-2008م.

*مفردات ألفاظ القرآن ، العلامة الراغب الأصفهاني ،مطبعة الأميرة ،بيروت – لبنان، ط1، 1431هـ-2010م.

*المقتضب , تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ,المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية , 1963-1968 م.

*المنجد في اللغة , ط: الثالثة والعشرون , (بيروت, بلا،ت,دار المشرق).

الرسائل:

*أصوات الإطباق في اللغة العربية,(رسالة ماجستير),سهر كاظم, بأشراف أ.م.د.عبدالحسين معتوق الصكر,1422 ,2001 م..

البحوث.

*بغية المرتاد لتصحيح الضاد , علي بن غانم المقدسي , تحقيق د. محمد جبار المعيبد ,مجلة المورد ,مج , 18,24 ,1409, 1986 .

*جوانب من النظام الصوتي في اللغات السامية (الصوامت), د.محمد جبار المعيبد , مجلة (آداب الرافدين), العدد 24, سنة 1992م.